أطواق من لؤلؤ وياقوت وزُمُرُّد، يتبع كل أولئك موكب الأسارى، وعدَّتُهُم أربعون ألفًا من أبناء الإسبان.

ذلك كله هو بعضُ الخُمْس[٣] مما اغتنم موسى بن نصير في حرب الأندلس؛ فكم جملة ما حصَّل من السبايا والأسارى والمغانم!

قال مسلمة للنعمان بن عبيد الله: أَتَذْكُرُ ما قال ذلك الراهب يا أبا عتيبة؟ فقد رفع سليمان الغطاء عن المائدة للضيفان، أفلا تظن أنَّ موعد المأدُبة قد حان؟[٤]

قال النعمان: صدق الراهب وبَرَّ …

– بل كَذَبَ وفجر، وإن وافقه القدر.

وصمت مسلمة برهة، ثم أردف: وسأخرج إلى الحجاز في عامي هذا فأؤدِّي الفريضة، ثم أرجِع فأُعدُّ للغزو عُدَّته، لا أنتظِر سبعمائة ولا سبعين ولا سبعة،[٥] ليس موسى بن نصير ومولاه طارقٌ بأوسع ذَرعًا من مسلمة، فسنفتح القسطنطينية وننفذ منها إلى الأرض الكبيرة قبل أن يجاوز موسى بن نصير جبل الزهرة إلى أرض إفرنسة، وتشهد دمشق موكبًا آخر قريبًا يُنسِي أهل الشام موكب ابن نصير، ويلهيهم عن مائدة سليمان بن داود!

كان عهد الوليد بن عبد الملك خليقًا بأن يطول؛ فقد وَلِيَ الخلافة ولم يزل في باكر الشباب، وقد عُمِّرَ أبوه عبد الملك وجدُّه مروان حتى جاوزا الستين، ولكن بني عبد الملك كثير، وكأن كلًّا منهم قد استقرَّ في وعيه الباطن أنَّ من حقه أن يجلس قدرًا من عمره على عرش عبد الملك، فلولا بقيةٌ من الحفاظ على العهد — أو لعلها خشية افتراق الكلمة — لوثب بعضهم على بعض يستبِقون عرشَ الخلافة؛ فكأنما اقتضت حكمةُ الله ألا يُعَمَّر الوليد طويلًا من أجل ذلك.

على أنَّ الوليد كان على نية الغَدْر، فلولا أنَّ الأجل أعجله من مأمِلِهِ لجعلها وراثة لولده دون أخيه ووليِّ عهده سليمان؛ وكان يؤازره على هذه النية طائفةٌ من أُمرائه

[٣] في شريعة الحرب أن خُمس الغنائم لبيت المال.

[٤] انظر حديث الراهب الفصل السابع.

[٥] انظر حديث الراهب الفصل السابع.